

تخطفه في غلب الجور غيلةً
 تنوء به الاقياد ان رام نهضة
 ناديه والسجان يكثر زجرها
 بني أظن السجن مكّ ضره
 بني استن بالصبر ما أنت جانباً
 جنت أعاطيها الغزاة وأدمي
 وقلت وقد جاشت غوارب عبرتي
 فزجّ به من مظالم السجن في القمر
 فيشكو الأذى والدمع من عينه يجري
 عجوز له من خلف عالية الجذّر
 بني ينسي حلّ ما بك من ضره
 وهان يخذل الله البري، من الوزر
 كأدمعها تهلّ مني على النحر
 ألا ان هذا الشعر من أقتل الشعر
 معروف الرصافي

بغداد

الشرق في الغرب

من مقالة لسير لوسين بورنا في مجلة العالم الاسلامي

عني اهل المجر وهم من اصل آسيوي وبلادهم على أبواب الشرق
 بالمباحث الشرقية غاية كبرى على ما هو مأثور عنهم من التوفر على خدمة
 العلم. وما زالوا منذ قرون كثيرة جيران شعب مسلم يتحدثون معه في الاصول
 وان اختلفوا في الفروع ويتكلمون لغة تكاد تشبه لغته ولذلك رأوا من
 الواجب عليهم ان يتحضوا للدراسة الموضوعات الاسلامية
 قام منذ سبعين سنة رجل عالم غيور منهم اسمه كوسما كوروس فزار
 آسيا ليبحث فيها عن اصل الامة المجرية. وتاريخ حياة هذا الرجل يشبه
 تاريخ أرمينيوس فبري في كثير من أدواره. لم يركوروس حرجاً في دخول
 دير اللبوزيين في بلاد التبت بصفة كاهن رجاء الوقوف على احوال شعوب

آسيا الوسطى ولم يخرج من الاخذ عن علماء بوذيين
ثم قام فبري الذي طاف آسيا الوسطى لاباً نياب درويس والاستاذ
غولدير الذي طلب العلم في الازهر . وكان من اعمال هؤلاء الرجال اكبر
مجدلاتهم في خلال القرن التاسع عشر . وما برح علماء المجر يقصدون
الهند الواحد تلو الآخر يبحثون في علومها وتاريخها واديانها ومنهم اليوم
أورل ستين تزل آسيا الوسطى الذي عرفت الحكومة الانكليزية ان
تتفع من مباحثه في شمالي الهند وبلوجستان وأتى بقوائد جمة

ومما لا مشاحة فيه ان رؤساء هذه المباحث اليوم في بلاد المجر هما
الاستاذان فبري وغولدير من اساتذة كلية بودابست وقد اخص
الاول بتعلم اللغة التركية حتى اتقنها اتقانه للغة وخدمها أجل خدمة وانصرف
الثاني الى دراسة العربية واللغات السامية

ولد فبري سنة ١٨٣١ أو ١٨٣٢ من أسرة يهودية فقيرة في بلاد
المجر في قرية سان جيورجين وبعد ان تلقن مبادئ التعليم في قريته أخذ
في تعلم العبرية والدين ثم انتقل الى مدرسة برتانتية فتعلم فيها اللغة المجرية
واللاتينية ومنها دخل مدرسة أخرى رومية ثم مدرسة كاتوليكية

ولما أتم دروسه كان قد أتى على آخر ما يملك من الدراهم فاضطره
الحال الى ان يعلم اطفالاً براتب ١٥٠ فلورينياً عند أسرة اسرائيلية في بلدة
مارينتال وانتقل بعد الى التدريس براتب اكثر في بيت أسرة في قرية
كوتيفو من أعمال حلافونيا. فترك مقامه في هذه القرية أجل اثر في نفسه
لانه تجلى له فيها السبيل الذي يتحتم عليه سلوكه في حياته العلمية . فقبها عقد

المزم على ان يكون عالماً باللغات وفيها شرع لاول امره بتعلم التركية وبالنظر في المباحث التي اطارت شهرته في العلم وفيها درس التركية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية والدانمركية والسويدية

واذ رأى ان ينصرف الى البحث في احوال الشرق نزل عاصمة فينا يتنصع العالم دي هامير الذي نشطه على ما هو آخذ نفسه في سبيله فذهب الى بودابست يتعلم فيها العربية والفارسية . وقضت عليه الحاجة في هذه المدينة ايضاً ان يكون مؤدياً ليد بما يناله من الاجر بعض حاجته ولما كانت نفسه تنزع به الى رؤية الشرق لم يعم عند ما اقتصد ١٢٠ فلوريناً ان يسافر الى الاستانة

وصف فبري هذه العاصمة عقيب حرب القرم سنة ١٨٥٧ فقال ان شذاذ الآفاق كانوا ينهلون عليها من كل صوب واوب والعمانيون لا يكادون يعبأون بكل وارد عليهم بيد انهم تلقوا المترجم بالعطف وعاملوه بالاحسان فكان لما بلغ الاستانة لا يملك الا درهماً وصادف صعوبات جمة لاول امره لكنه تمكن من التغلب عليها بمساعدة احد مواطنيه ممن انخرطوا في خدمة الدولة العثمانية وأعني به القائد كتي الذي دعي بعد باسم اسمعيل باشا فمى له هذا بوظيفة معلم عند اسرة في بك اوغلي ومن ذلك الحين دخل على ناظر الخارجية رفعت باشا بصفة استاذ وأخذ فبري يشبه بالعثمانيين في أطواره ومناحيه عملاً بصائح وطنه اسمعيل باشا ومجاراة له فدعا نفسه رشيد افندي وأخذ يتعرف الى اهل الطبقة العليا في الاستانة على ذلك العهد ويختلط بهم ويعاشرهم . وفي خلال ذلك ايضاً بدأ يشتغل في الصحافة

فبين مراسلاً لأحدى الجرائد الألمانية الكبرى أصبح فبري « أفدياً » بحثاً لا ينقص عن أدباء الاستانة في معرفة اللغة التركية وآدابها. ولكنه لم يفتح بما حصل له من ذلك بل طمحت به نفسه الى زيارة آسيا الوسطى وهي البلاد التي قام منها الاتراك وهاجوا أوربا لئير له ان يسمع اللغة التركية الاصلية في موطنها تلك اللغة التي لطفت فكانت منها اللغة الثمانية اليوم

وكانت الصعوبات التي تحول دون هذه الامنية كثيرة الا ان الاستاذ فبري لم يبال بالمصاعب. وغادر الاشارة بمساعدة المجمع العلمي الذي عينه عضواً مراسلاً ليرحل رحلة كانت فيها شهرته وبمد صيته. فاكنى ثياب مسلم واجتاز آسيا الصغرى ودخل فارس فمرقه العامة من ثيابه بانه سني وراحوا يطيلون اليه يد الاذى. وبمد شق النفس بلغ طهران ونال من ناظر خارجيتها اذ ذاك المرزا سيد خان جوازا بمتابعة سيره

ذكر المترجم به ما لقيه في رحلته هذه من المتاعب فانه طاف بلاد فارس متكرراً في ثياب درويش وكاد يكشف أمره ويعرف انه ليس من اهل الاسلام ولكنه نجح ولم تدرك حقيقته. ثم التحق بجماعة من الحجاج فرافقهم الى خيوه وبخارى ولقي من سفره هذا نصاباً لم يكن أقل مما لقيه في مبداء رحلته وبعد سنة عاد الى طهران فطلبه روسيا ان يكون موظفاً عندها فاني وعاد الى بودابست سنة ١٨٦٤

وبعد ان قضى فيها مدة طلب الى انكلترا بالخاص شديد فذهب اليها واستقبل فيها بالحفاوة. وقد نشر فيها رحلته هذه بالانكليزية فلم تلبث ان

ترجمت الى لغات اوربا واشتهر امرها وكانت الحكومة الانكليزية تود كثيراً ان تجعل في جملة رجالها رجلاً كالاستاذ فبري يعرف الشرق معرفة حقيقية ليكون منه لها أحسن خدمة ولكن العالم المغربي آثر ان يعود الى وطنه على شدة حبه لانكلترا . وعند عودته عين استاذاً لكلمية بودابست فكان فيها اول استاذ غير كاثوليكي

وهنا انتهى تاريخ جهاد هذا الرجل وقد دام ثلاثاً وثلاثين سنة من حياته . وذكر فبري في الفصول الأخيرة من رحلته كيف زار انكلترا وفرنسا ولقي فيها الملوك والامراء وأعاضم العلماء ورأى منهم الحفاوة وأورد في فصلين اجتماعه بالسلطان عبد الحميد . خان صديقه القديم والتقاءه بشاهي الفرس الاخيرين . وما أحلى الصفحة التي ذكر فيها كيفية اجتماع ناصر الدين شاه به لما اجتاز هذا مدينة بودابست في رحلته الى اوربا ودهشته لما رأى في المجمع العلمي المغربي ذلك الدرويس الذي كان لقيه في طهران منذ بضعة عقود من السنين

كتب فبري في العلم والياسة وكل ما خطه بينه نافع خطير . فقد ابتدأ يعمل في الصحافة بعد بلوغه الاستانة بقليل من الزمن ومن ذلك العهد لم يفتأ يوازر في عدة مجلات انكليزية واميركية والمانية وفرنسية . والسن لم توقعه عن نشاطه ولا عاقت حركته عن الانبعاث فانا نراه الى اليوم يتناول الموضوعات المختلفة بالهمة المبهودة فيه فينا نراه يبحث في اللغات وعلمها اذا هو يبحث في الآداب فاصول الشعوب فالتاريخ فالياسة فالاحوال الاجتماعية

أما أغناس غولدسير المشار اليه فهو من أعظم العلماء بالعربية في قارة أوروبا. ولد سنة ١٨٥٠ فتخرج بارمانيوس فبري الموما اليه ثم قضى اربع سنين في كليات برلين ولينيك وليد. وفي الثالثة والعشرين من عمره عهدت اليه حكومته بمهمة فسافر الى سورية ومصر وقيد نفسه في طلبة الجامع الازهر ولما عاد الى بلاده عين أستاذاً في كلية بودابست وعضواً في المجمع العلمي المجري رصيفاً لاستاذة. ولغولدسير القدرح المثل في علم أصول اللغات السامية وأصل اللغة العربية خاصة وهو بحر طام في تاريخ الاسلام وهنا عدد الكتاب بمض أعمال هذين الرجلين في العلم وذكر جانباً من مصنفاتها وعقب عليهما بذكر بعض كبار علماء المشرقيات من المجر ومنهم من خص بتعلم التركية ومنهم الاخصائون بالعربية وكلهم يخدمون الآداب الشرقية حق الخدمة. ففي قسم الفلسفة من كلية بودابست صفان للغة التركية وآدابها ولاصل اللغة الفارسية وفي القسم الديني منها صف للبرية والبرانية والكلدانية. وليس لتعليم اللغات الشرقية في بلاد النمسا والمجر غير كليتي بودابست وفينا

وللابحاث العلمية في المجر موارد غنية تساعد القائمين بها على البحث والتقيب. منها المجمع العلمي المجري الذي جعل في زمرة اعضائه أناساً من المستشرقين أمثال فبري وغولدسير وزيشي. ومنها جمعية علم خصوصيات الشعوب المجرية التي أنشأت فرعاً شرقياً خدتم الابحاث الاسلامية أجل خدمة سوائه كان بلم أحوال الام وأصولهم وأخلاقهم وتفرقهم (ايتولوجيا وايتوغرافيا) أو بلم اللغات والادب والآثار والتاريخ والجغرافيا

وفي سنة ١٩٠٤ انشأ المجمع الدولي الآسيوي جمعية مجرية للبحث التاريخي والآثري واللغوي واصول الامم في آسيا الوسطى والشرق الاقصى . وهذه الجمعية تبحث بحثاً علمياً في بلاد الاورال وتفرغ ما عدا البحث في اخلاق الامم وتفرقهم للابحاث المتعلقة بامم الاورال الاتاكيكية^(١) كما تبحث في حالة البلاد التي ينزلها غير هؤلاء الشعوب وتعين هذه الجمعية فئة من علماء البحر تكون لهم صلة مع سائر الجمعيات والعلماء من الامم الغربية وتتفق على من يرسل الرحلات العلمية وتتفق مع سائر الجمعيات العلمية في البحر ليكون العمل بينهم مشتركاً ولا سيما فيما يتعلق بالآثار والمعادنات . وتوزع الاطانة السنوية التي تعطىها نظارة الاديان والمعارف في البحر ثلاثة أثلاث . ثلث على المجلة التي هي لسان حال الجمعية والتي تشر اعمال الاعضاء ومباحثهم . والثلاثان الآخران يوزعان بالسوية على الفروع التي تريد الجمعية مساعدتها ولا سيما فروع اللغة والبحث في اصول الشعوب والآثار والتاريخ . وتعين نظارة الاديان والمعارف هؤلاء الاعضاء الى اربع سنين فاذا اتموا هذه المدة يقدمون لائحة بمن يرشحونهم بدم لتقرر النظارة عليهم وقد اتخبت للرئاسة هذه المرة الاستاذ فبري .

وفي جانب هذه الجمعيات العلمية العرفة جمعيات اقتصادية لا تغل عنها فائدة . فان المتحف التجاري الامبراطوري المجري في بودابست أسس سنة ١٨٨٧ وهو من المباني الفخيمة وسد رسمياً تجارياً ونصب له وكلاء في جميع

(١) هي الامم التي كانت تعرف قديماً بالآثار وهي عبارة عن الاراك والتركان

ارجاء بلاد البلقان كماله وكلاء في الاسكندرية وتونس . وقد أسس هذا المتحف فادرك لأول عهد تأسيسه ضرورة التعليم الابتدائي لاعداد بعض النشء للتجارة مع الشرق فانشأ سنة ١٨٩١ صفاً للتجارة الشرقية وهو الذي اصبح اليوم مجماً علمياً للتجارة ثم اعيد تنظيمه سنة ١٨٩٨ - ١٨٩٩ فتحت منه احسن النتائج

اما التعليم الذي شرعه هذا المجمع العلمي فيتناول عدة ابحاث ومعارف يدرسها المتعلم في سنتين وهي عملية حقيقية لا نظرية خيالية . واهمها تعلم اللغات الشرقية ولغات بلاد البلقان خاصة والعلوم التجارية والقنصلية وعدة مواد اخرى . وعلى كل طالب ان يتعلم سنتين اللغات الشرقية وهي الرومانية والصربية والبلغارية والتركية والرومية الحديثة والعربية العامية والروسية . وان يتعلم المراسلات التجارية والكلمات الاصطلاحية في التجارة والقضاء . وان يتعلم من اللغات الاوربية الايطالية والفرنسية ومن العلوم جغرافية الشرق ولا سيما بلاد البلقان وآسيا الصغرى وعلم اصول اممها واخلاقهم وعلم التجارة والجمارك والحقوق العمومية والادارية وقوانين التجارة وطريقة الاعتمادات .

وهناك صفوف لتعليم اللغات الشرقية تقام في المساء . وقد خصص المجمع العلمي مبلغاً من المال ليعتني به بمضمون على التعلم وحذا حذوه في هذا السبيل بمض ارباب الخير وغيرهم . ثم رأت هذه الجمعيات العلمية انه لا غنية لها عن صحيفة تكون لان حالها وسجل أبحاثها وتحقيقاتها فانشأت مجلة شرقية تكتب بجميع لغات أوروبا وتباع بثمان بخص ثغنى بالمباحث

الاورالية الالتيائية سميتها « كليني زميل » وبعلم خصوصيات الشعوب وتشر مقالات عن الامم الشرقية النازلة بين نهري فولغا وأورال من الجنس الفينو المجري وأبحاثاً في العنصر التركي وتعنى عناية خاصة بنشر التقاليد القديمة أو العامية وتبحث في صلوات الامم الاورالية الالتيائية بعضها مع بعض أو مع غيرها وتبحث في احوال الشعوب الآسيوية ولا سيما في أصول التاتار والامم القاقاسية والارانية والصقلية (اللائية) وغيرها وقد قال العالمان اللذان عنيا بادارة شؤون هذه المجلة ان المجرم زعماء العناصر الاورالية والالتيائية ومثلوا تلك الحضارة نزلوا بلادهم منذ الف سنة وظلوا محتفظين بلقمتهم وهي أشبه بجزيرة خضراء في الشرق وسط بحر محيط مؤلف من سبل الشعوب الجرمانية والصقلية على حين ان أمماً كثيرة تماثلهم كالبغار والبشناق والخزر والكومان لم يتركوا أثراً من تاريخهم يذكر وبادت مملكتا الهونس والافار^(١) وذهبتا ذهاب امس الدابر وختم الكاتب هذا الفصل بتعداد ما كتبه اولئك الاعلام من الابحاث الممتعة وشاركهم في وضعه زمرة من علماء المشرقيات من الالمان والفرنسيس والانكليز والروس والترك وكان للمباحث الاسلامية ولا سيما التركية منها شأن عظيم في سجل اعمالهم

(١) الهونس امة بربرية كانت على شواطئ بحر الخزر اقتضت على اوربا برعاية البطل اتيلا في نحو القرن الخامس لليلاد . والافار شعوب من اصل اورالي الالتيائي حاجت اوربا ثلاثة قرون وقضى عليها شارلمان امبراطور الفرنسيس في القرن الثامن